Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذكر الرواة أنه كان والي المأمون على فارس وكرمان، وحدث أن تأخرت أعطيات الجند، فكتب إلى المأمون يقول: (كتابي إلى أمير المؤمنين، ومن قبلي من قواده ورؤساء أجناده في الانقياد والطاعة على أحسن ما يكون عليه طاعة جندٍ تأخرت أرزاقهم، وانقياد كفاة تراخت أعطياتهم، فاختلت لذلك أحوالهم، والتاثت معه أمورهم). فلما قرأه المأمون قال لوزيره أحمد بن يوسف: إن في هذا الكتاب نظير ما سمعت الرشيد يقوله في البلاغة: (إنما هي التباعد عن الإطالة، والتقرب من معنى البغية؛ والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى، وما كنت أتوهم أن أحداً يقدر على ذلك، ودفع إليه الكتاب ثم قال: إن آستحساني إياه حملني على إجابة مطلبه). فما سر هذا الإعجاب بها يا ترى؟ وبم غزت قلبَ الخليفة فأطلقت يده؟ الواقع أنها رسالة فريدة في بابها؛ لأنها جمعت بين النصيحة والإنذار، . وحمّلت الخليفة مغبة التراخي أو التفريط في حقوق الجند. كل ذلك بأسلوب لبق رقيق إن دل على شيء فإنما يدل على براعة ابن مسعدة في مخاطبة الملوك. . أتراه يصطنع مثل هذا مع الرعية؟ انظر إليه وهو ينكر على أبي المرازي ـ الوالي باليمن ـ موقفه من الزيادية وزوجها البصري، وتفريقه بينهما بحجة أنها من قريش. . . واقرأ معي رسالته التي كتبها إليه بأمر المأمون:

(إنه قد بلغ أمير المؤمنين ما كان من الزيادية وخلعك إياها إذ كانت من قريش، فمتى تحاكمت اليك العرب لا أم لك في أنسابها؟ ومتى وكلتك قريش يا ابن اللخناء بأن تلصق بها من ليس منها، فخلِّ بين الرجل وامرأته، فلئن كان زياد من قريش إنه ابن سمية، بغى عاهرة لا يفتخر بقرابتها، ولا يتطاول بولادتها، ولئن كان ابن عبيد لقد باء بأمر عظيم داعي لغير أبيه لحظ تعجله، وملك قهره).

وفي رسائله الخاصة ترى الموهبة على فطرتها، والقريحة على سجيتها وصله كتاب صديق، بعد مرارة الانتظار، وحرارة الأفكار. . فكتب اليه يقول:

(وصل إليّ كتابك على ظمأ مني إليه، وتطلع شديد، وبعد عهد بعيد ولوم مني على ما مسستني به من جفائك ـ على كثرة ما تابعت من الكتب وعدمت من